

ولم يتورع الناس عند ذلك عن أن يجعلوا النبي يفصل على هذا النحو انقصاص والأساطير التي وردت موجزة في القرآن ويدعو إلى آراء ومعتقدات جديدة الخ . بل وكان كثير من هذه الأحاديث الموضوعة المنسوبة إلى النبي تناول الأحكام : كالحلال والحرام والطهارة وأحكام الطعام ، والشريعة ، وآداب السلوك ومكازم الأخلاق ثم وضعت أحاديث تناول العقائد ، ويوم الحساب ، والجنة والنار ، والملائكة والخلق ، والوحى والأنبياء السابقين . وفي الحملة وضعت أحاديث في كل ما يتعلق بالصلة بين الله والإنسان . وتشتمل هذه الأحاديث الموضوعة كذلك على عظات وتعاليم خلقية نسبت إلى النبي .

ومع مضي الزمن ازداد ما روى عن النبي من قول أو فعل شيعيا فشيحا في عدده وفي غزارته . وفي القرون الأولى التي تلت وفاة الرسول عظم الخلاف بين المسلمين على جملة من الآراء في مسائل تختلف طبائعها أشد الاختلاف ، وعملت كل فرقة على تأييد رأيها على قدر ماتستطيع بقول أو تقرير منسوب إلى النبي . ومن استطاع أن يرد رأيه إلى أثر من آثار النبي فهو على الحق من غير شك . ولهذا كثرت الأحاديث الموضوعة المتناقضة أشد التناقض في سنة محمد^(١) .

(١) أما أنه وحده بعض الكذابين الوضاعين الذين اقتروا أحاديث على النبي عليه الصلاة والسلام . وأما أنه وحده بعض المقلين الذين دخلت عليهم هذه الأكاذيب فظنوها صحيحة وقبلوها ودخلت عندهم الاسرائيليات فظنوها تصلح إيضاحا تاريخيا لبعض ما ورد محملا من أخبار السابقين في القرآن والسنة الصحيحة ، وإما أنه وقعت أغلاط من بعض الرواة الصادقين في بعض الروايات ، أما هذا كله فلا شك في وقوعه وهو الذي قام علماء الحديث بهذا الجهد الضخم الهائل في سبيل تنائمه ، فوزنوا الرجال ، ورواة الحديث ، بميزان العدل والمعرفة . بحثوا في سيرتهم الشخصية ، فقبلوا من ثبت عندهم أنه عدل لا تشوب سيرته شائبة من خلق ودين أو أمانة وبحثوا رواياتهم وتقدموها ، فرفضوا من كثر خطؤه وكثر في رواياته المخالفة لرواية غيره من الثقات وقارنوا الروايات بعضها بعض ، فرفضوا ما خالف المعقول أو خالف صريح القرآن أو خالف المعلوم من الدين بالضرورة ، أعنى المتواتر العملي والاعتقادي . ونفوا عن الأحاديث كل ما حاول الوضاعون الكذابون ادخاله عليها . وحفظوا السنة بقاء بقاء ، كل هذا كان ، ويعرفه المسلمون ويتدارسونه بينهم ، وأما الصورة التي تبدو مما قال كاتب المادة أن كل تفصيل في الأحاديث ، من حلال وحرام وطهارة الخ هو من الموضوعات . فإنما هي نفي للسنة جميعها وإبطالها ، وإنما معناه أن رسول الله لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا ، إذ أن كل ما روى عنه مكذوب في ظنه وإنما معناه أن كل المسلمين ، من عهد الصحابة فمن بعدهم ، كاذبون مفترين على رسولهم ، ليس —